

صاحب الحال (المحاضرة مستلة من شرح ابن عقيل)

من بعد نفي أو مضاهيه، كـ " لا يبيغ امرؤ على امرئ مستسهلا " (١) حق صاحب الحال أن يكون معرفة، ولا ينكر في الغالب إلا عند وجود مسوغ، وهو أحد أمور (٢):.

(١) " من بعد " جار ومجرور متعلق بيبين في البيت السابق، وبعد مضاف، و " نفي " مضاف إليه " أو " عاطفة " مضاهيه " مضاهي: معطوف على نفي، ومضاهي مضاف وضمير الغائب العائد إلى نفي مضاف إليه " كلا " الكاف جارة لقول محذوف، لا: ناهية " يبيغ " فعل مضارع مجزوم بلا الناهية " امرؤ " فاعل يبيغ " على امرئ " جار ومجرور متعلق بيبغ " مستسهلا " حال من قوله " امرؤ " الفاعل. (٢) ذكر الشارح - تبعاً للناظم - من مسوغات مجئ الحال من النكرة ثلاثة مسوغات: أولها تقدم الحال، وثانيها تخصص صاحبها بوصف أو بإضافة، وثالثها وقوع النكرة بعد النفي أو شبهه، وبقي من المسوغات ثلاثة أخرى لم يصرح بها. الأول: أن تكون الحال جملة مقترنة بالواو، كما في قولك: زارنا رجل والشمس طالعة، والسر في ذلك أن وجود الواو في صدر الجملة يرفع توهم أن هذه الجملة نعت للنكرة، إذ النعت لا يفصل بينه وبين المنعوت بالواو، ففي قوله تعالى: (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) مسوغان، بل ثلاثة، وهي تقدم النفي، ووقوع الواو في صدر جملة الحال، والثالث اقتران الجملة بإلا، لأن الاستثناء المفرغ لا يقع في النعوت (انظر ص ٦٠٤ السابقة و ٦٣٨ الآتية) وأما قوله تعالى: (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها) فالمسوغ وقوع الواو في صدر جملة الحال. الثاني: أن تكون الحال جامدة، نحو قولك: هذا خاتم حديد، والسر في ذلك أن الوصف بالجامد على خلاف الأصل، فلا يذهب إليه ذاهب، وقد ساء في مثل هذا أن تكون الحال جامدة كما علمت (انظر ص ٦٢٨ وما بعدها). الثالث: أن تكون النكرة مشتركة مع معرفة أو مع نكرة يصح أن تجئ الحال منها، كقولك: زارني خالد ورجل راكبين، أو قولك: زارني رجل صالح وامرأة مبكرين. (*)

[٦٣٤]

منها: أن يتقدم الحال على النكرة، نحو " فيها قائما رجل "، وكقول الشاعر، وأنشده سيبويه: ١٨١ - وبالجسم مني بينا لو عملته شحوب، وإن تستشهدي العين تشهد وكقوله: ١٨٢ - وما لام نفسي مثلاً لي لائم ولا سد فقري مثل ما ملكت يدي.

١٨١ - البيت من الشواهد التي لا يعلم قائلها. اللغة: " شحوب " هو مصدر شحب جسمه يشحب شحوبا - بوزن فعد يقعد قعودا - وقد جاء على لغة أخرى، شحب يشحب شحوبة - مثل سهل الامر يسهل سهولة - إذا تغير لونه " بينا " ظاهراً، وهو فيعل من بان يبين، إذ ظهر ووضح. المعنى: إن بجسمي من آثار حبك لشحوبا ظاهراً، لو أنك علمته لاخذتك الشفقة علي، وإذا أحببت أن ترى الشاهد فانظري إلى عيني فإنهما تحدثانك حديثه. الأعراب: " وبالجسم " جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم " مني " جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من الجسم " بينا " حال من شحوب الآتي على رأي سيبويه الذي يجيز مجئ الحال من المبتدأ، وهو عند الجمهور حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور الواقع خبراً " لو " شرطية غير جازمة " علمته " فعل وفاعل ومفعول به، والجملة من الفعل وفاعله ومفعوله شرط لو، وجواب الشرط محذوف، والتقدير: لو علمته لاشفقت علي، والجملة من الشرط وجوابه لا محل لها معترضة بين الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر " شحوب " مبتدأ مؤخر " وإن " شرطية " تستشهدي " فعل مضارع فعل الشرط، وباء المخاطبة فاعل " العين " مفعول به " تشهد " جواب الشرط. الشاهد فيه: قوله " بينا " حيث وقعت الحال من النكرة، التي هي قوله " شحوب " على ما هو مذهب سيبويه، كما قررناه في الأعراب، والمسوغ لذلك تقدم الحال على صاحبها، فإذا جريت على ما ذهب الجمهور إليه خلا البيت من الشاهد. ١٨٢ - وهذا البيت - أيضاً من الشواهد التي لا يعلم قائلها، = (*)

[٦٣٥]

و " قائما ": حال من " رجل "، و " بينا " حال من " شحوب "، و " مثلاً " حال من " لائم "، ومنها: أن تخصص النكرة بوصف، أو بإضافة، فمثما تخصص بوصف قوله تعالى: (فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا) (١)..

= اللغة: " لام " عذل، وتقول: لام فلان فلانا لوما وملاماً وملامة، إذا عاتبه ووبخه " سد فقري " أراد أغنانني عن الحاجة إلى الناس وسؤالهم، شبه الفقر بباب مفتوح يأتيه من ناحيته مالا يجب، فهو في حاجة لإيصاله. المعنى: إن اللوم الذي يكون له الأثر الناجع في رجوع الإنسان عما استوجب اللوم عليه هو لوم الإنسان نفسه، لأن ذلك يدل على شعوره بالخطأ، وإن ما في يد الإنسان من المال لا قرب منالاً له مما في أيدي الناس. الأعراب: " وما " نافية " لام " فعل ماض " نفسي " نفس: مفعول به تقدم على الفاعل، ونفس مضاف وباء المتكلم مضاف إليه " مثلاً " مثل: حال من " لائم " الآتي، ومثل مضاف وها مضاف إليه، و " مثل " من الألفاظ التي لا تستفيد بالاضافة تعريفاً " لي " جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من لائم الآتي " لائم " فاعل لام " ولا " الواو عاطفة، لا زائدة لتأكيد النفي " سد " فعل ماض، " فقري " فقر: مفعول به لسد تقدم على الفاعل، وفقر مضاف وباء المتكلم مضاف إليه " مثل " فاعل لسد، ومثل مضاف، و " ما " اسم موصول مضاف إليه " ملكت " ملك: فعل ماض، والتاء للتأنيث " يدي " يد: فاعل ملكت، ويد مضاف وباء المتكلم مضاف إليه، والجملة من ملك وفاعله لا محل لها صلة الموصول، والعائد محذوف، والتقدير: مثل الذي ملكته يدي. الشاهد فيه: قوله " مثلاً لي لائم " حيث جاءت الحال - وهي قوله " مثلاً "، و " لي " - من النكرة - وهي قوله " لائم " - والذي سوغ ذلك تأخر النكرة عن الحال. (١) الامر الاول الوارد في هذه الآية واحد الامور، والامر الثاني واحد الاوامر وقد أعرب الناظم وابنه " أمراً " على

أنه حال من أمر الاول، وسوغ مجئ الحال منه تخصيصه بحكيم بمعنى محكم، أي حال كونه مأمورا به من عندنا. واعتراض قوم على هذا الاعراب بأن الحال لا يجئ من المضاف إليه إلا إذا وجد = (*)

[٦٣٦]

وكقول الشاعر: ١٨٣ - نجيت يا رب نوحا، واستجبت له في فلك ماخر في اليم مشحونا وعاش يدعو بآيات مبينة في قومه ألف عا غير خمسينا.

= واحد من الامور الثلاثة التي يأتي بيانها في هذا الباب، وليس واحد منها بموجود هنا. وأجيب بأننا لا نسلم أن الامور الثلاثة غير موجودة في هذا المثال، بل المضاف الذي هو لفظ " كل " كالجزء من المضاف إليه الذي هو لفظ " أمر " في صحة الاستغناء به عنه، وذلك لأن لفظ كل بمعنى الامر، إذ المعلوم أن لفظ كل بحسب ما يضاف إليه. ومن العلماء من جعل أمرا الثاني حالا من كل، وتصلح الآية للاستدلال بها لما نحن بصدده، لأن " كل أمر " نكرة، إذ المضاف إليه نكرة، ومنهم من جعل أمرا حالا من الضمير المستتر في حكيم، ومنهم من جعله حالا من الضمير الواقع مفعولا، أي مأمورا به. ١٨٣ - البيتان من الشواهد التي لم يذكروها منسوبة إلى قائل معين. اللغة: " الفلك " أصله بضم فسكون - السفينة، ولفظه للواحد والجمع سواء، وقد تتبع حركة عينه التي هي اللام حركة الفاء كما في بيت الشاهد " ماخر " اسم فاعل من مخرت السفينة - من بابي قطع ودخل - إذا جرت تشق الماء مع صوت " اليم " البحر، أو الماء " مشحونا " اسم مفعول من شحن السفينة: أي ملأها " آيات مبية " ظاهرة واضحة، أو أنها تبين حاله وتدل على صدق دعواه. الاعراب: " نجيت " فعل وفاعل " يا رب " يا: حرف نداء، رب: منادى، وجملة النداء لا محل لها معترضة بين الفعل مع فاعله ومفعوله " نوحا " مفعول به لنجيت " واستجبت " الواو عاطفة، وما بعدها فعل وفاعل " له " جار ومجرور متعلق باستجبت " في فلك " جار ومجرور متعلق بنجيت " ما خر " صفة لفلك " في اليم " جار ومجرور متعلق بما خر " مشحونا " حال من فلك " وعاش " الواو = (*)

[٦٣٧]

ومثال ما تخصص بالاضافة قوله تعالى: (في أربعة أيام سواء للسائلين). ومنها: أن تقع النكرة بعد نفي أو شبهه، وشبه النفي هو الاستفهام والنهي، وهو المراد بقوله: " أو بين من بعد نفي أو مضاهيه " فمثال ما وقع بعد النفي قوله: ١٨٤ - ما حم من موت حمى واقيا ولا ترى من أحد باقيا.

= عاطفة، عاش: فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى نوح " يدعو " فعل مضارع، وفيه ضمير مستتر جوازا تقديره هو يعود إلى نوح فاعل، والجملة في محل نصب حال " بآيات " جار ومجرور متعلق بدعو " مبينة " صفة لآيات " في قومه " الجار والمجرور متعلق بعاش، وقوم مضاف والضمير العائد إلى نوح مضاف إليه " ألف " مفعول فيه ناصبه عاش، وألف مضاف و " عام " مضاف إليه " غير " منصوب على الاستثناء أو على الحال، وغير مضاف و " خمسينا مضاف إليه، مجرور بالياء لانه ملحق بجمع المذكر السالم، والألف في آخره للاطلاق. الشاهد فيه: قوله " مشحونا " حيث وقع حالا من النكرة، وهي قوله " فلك " والذي سوغ مجئ الحال من النكرة أنها وصفت بقوله " ماخر " فقربت من المعرفة. ١٨٤ - البيت لراجز لم يعينه أحد ممن استشهد به. اللغة: " حم " بالبناء للمجهول أي قدر، وهبي، وتقول: أحم الله تعالى هذا الامر وحمه، إذا قدر وقوعه، وهيا له أسبابه (انظر ص ٦٠٢ و ٦٣٨) " واقيا " اسم فاعل من " وفى يقى " بمعنى حفظ يحفظ. المعنى: إن الله تعالى لم يقدر شيئا يحمي من الموت، كما أنه سبحانه لم يجعل لاحد من خلقه الخلود، فاستعد للموت دائما. الاعراب: " ما " نافية " حم " فعل ماض مبني للمجهول " من موت " جار ومجرور متعلق بقوله " واقيا " الاتي " حمى " نائب فاعل لحم " واقيا " حل من حمى " ولا " الواو عاطفة، ولا: زائدة لتأكيد النفي " ترى " فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت " من " زائدة " أحد " مفعول به لترى " باقيا " حال من أحد، وهذا مبني على أن " ترى " بصرية، فإذا جريت على أن ترى علمية كان قوله " باقيا " مفعولا ثانيا لترى. = (*)

[٦٣٨]

ومنه قوله تعالى (١): (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) ف " لها كتاب " جملة في موضع الحال من " قرية "، وصح مجئ الحال من النكرة لتقدم النفي عليها، ولا يصح كون الجملة صفة لقرية، خلافا للزمخشري، لأن الواو لا تفصل بين الصفة والموصوف، وأيضا وجود " إلا " مانع من ذلك، إذ لا يعترض ب " إلا " بين الصفة والموصوف، وممن صرح بمنع ذلك: أبو الحسن الاخفش في المسائل، وأبو علي الفارسي في التذكرة. ومثال ما وقع بعد الاستفهام قوله: ١٨٥ - يا صاح هل حم عيش باقيا فترى لنفسك العذر في إبعادها الاملا ؟ .

= الشاهد فيه: قوله "واقيا" و "باقيا" حيث وقع كل منهما حالا من النكرة، وهي "حمى" بالنسبة لـ "واقيا" و "أحد" بالنسبة لـ "باقيا" والذي سوغ ذلك أن النكرة مسبوقه بالنفي في الموضعين. وإنما يكون الاستشهاد بقوله باقيا إذا جعلنا "تري" بصرية، لأنها تحتاج حينئذ إلى مفعول واحد، وقد استوفته، فالمنصوب الآخر يكون حالا، أما إذا جعلت "تري" علمية فإن قوله "باقيا" يكون مفعولا ثانيا، كما بيناه في الاعراب. (١) انظر ما كتبناه عن هذه الآية في ص ٦٣٣. ١٨٥ - أكثر ما قيل في نسبة هذا البيت إنه لرجل من طيئ، ولم يعينه أحد ممن استشهد بالبيت أو تكلم عليه. اللغة: "صاح" أصله صاحبي، فرخم يحذف آخره ترخيما غير قياسي، إذ هو في غير علم، وقياس الترخييم أن يكون في الإعلام، وهو أيضا مركب إضافي "هل حم عيش" (انظر ص ٦٠٢ و ٦٣٧) والاستفهام ههنا إنكاري بمعنى النفي، فكانه قال: ما قدر الله عيشا باقيا "العدر" هو كل ما تذكره لتقطع عنك السنة العتاب واللوم. الاعراب: "يا" حرف نداء "صاح" منادى مرخم "هل" حرف استفهام (*)

[٦٣٩]

ومثال ما وقع بعد النهي قول المصنف: " لا يبيغ امرؤ على امرئ مستسهلا " وقول قطري بن الفجاءة: ١٨٦ - لا يركن أحد إلى الاحجام يوم الوغى متخوفا لحمام.

= "حم" فعل ماض مبني للمجهول "عيش" نائب فاعل حم "باقيا" حال من عيش "فترى" الفاء فاء السببية، ترى: فعل مضارع منصوب تقديره بأن مضرة بعد الفاء، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت "لنفسك" الجار والمجرور متعلق بترى وهو المفعول الثاني قدم على المفعول الأول، ونفس مضاف وضمير المخاطب مضاف إليه "العدر" مفعول أول لترى "في إبعادها" الجار والمجرور متعلق بالعدر، وإبعاد مضاف، وها: مضاف إليه، وهي من إضافة المصدر إلى فاعله "الاملا" مفعول به للمصدر. الشاهد فيه: قوله "باقيا" حيث وقع حالا من النكرة وهي قوله "عيش" والذي سوغ مجئ الحال منها وقوعها بعد الاستفهام الانكاري الذي يؤدي معنى النفي. ١٨٦ - البيت كما قال الشارح العلامة لابي نعامة قطري بن الفجاءة، التميمي، الخارجي، وقد نسبه ابن الناظم إلى الطرماح بن حكيم، ولهذا صرح الشارح بنسبته إلى قطري، قصدا إلى الرد عليه، وقطري: بفتح القاف والطاء جميعا، والفجاءة: بضم الفاء. اللغة: "الاحجام" التأخر والنكول عن لقاء العدو، والركون إليه: الميل إليه، والاعتماد عليه "الوغى" الحرب "الحمام" يكسر الحاء الموت. المعنى: لا ينبغي لأحد أن يميل إلى الاعراض عن اقتحام الحرب، ويركن إلى التواني خوفا من الموت. الاعراب: "لا" ناهية "يركن" يركن: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة في محل حزم بلا الناهية "أحد" فاعل يركن "إلى الاحجام" جار ومجرور متعلق بيركن "يوم" ظرف زمان متعلق بيركن أيضا، ويوم مضاف، و "الوغى" مضاف إليه "متخوفا" حال من أحد "لحمام" جار ومجرور متعلق بمتخوف. الشاهد فيه: قوله "متخوفا" حيث وقع حالا من النكرة التي هي قوله "أحد"، والذي سوغ مجئ الحال من النكرة هنا هو وقوعها في حيز النهي بلا، ألا ترى أن قوله "أحد" فاعل يركن المجزوم بلا الناهية ؟ (*)

[٦٤٠]

واحترز بقوله: " غالبا " مما قل مجئ الحال فيه من النكرة بلا مسوغ من المسوغات المذكورة، ومنه قولهم: " مرت بماء قعدة رجل (١) "، وقولهم: " عليه مائة بيضا " (٢)، وأجاز سيبويه " فيها رجل قائما "، وفي الحديث: " صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا، وصلى وراءه رجال قياما " (٣). * * وسبق حال ما بحرف جر قد أبوا، ولا أمنعه، فقد ورد (٤).

(١) قعدة رجل - بكسر القاف وسكون العين المهملة - أي مقدار قعدته. (٢) بيضا - بكسر الباء الموحدة - جمع بيضاء، وهو حال من مائة، ولا يجوز أن يكون تمييزا، إذ لو كان تمييزا لوجب أن يكون مفردا لا جمعا، وأن يكون مجرورا لا منصوبا، لان تمييز المائة يكون كذلك. (٣) اختلف النحاة في مجئ الحال من النكرة إذا لم يكن للنكرة مسوغ من المسوغات التي سبق بيانها في كلام الشارح وفي زياداتنا عليه، فذهب سيبويه - رحمه الله إلى أن ذلك مقيس لا يوقف فيه على ما ورد به السماع، وذهب الخليل بن أحمد ويونس ابن حبيب - وهما شيخا سيبويه - إلى أن ذلك مما لا يجوز أن يقاس عليه، وإنما يحفظ ما ورد منه. ووجه ما ذهب إليه سيبويه أن الحال إنما يؤتى بها لتقييد العامل، فلا معنى لاشتراط المسوغ في صاحبها. (٤) " وسبق " مفعول به مقدم على عامله، وهو أبوا الآتي، وسبق مضاف، و " حال " مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله "ما" اسم موصول: مفعول به للمصدر "بحرف" جار ومجرور متعلق بقوله جر الآتي "جر" فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى ما الموصولة، والجملة من جر ونائب فاعله لا محل لها صلة الموصول "قد" حرف تحقيق "أبوا" فعل وفاعل "ولا" الواو عاطفة، لا: نافية "أمنعه" منع: فعل مضارع، وفاعله (*)